مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 17 العدد: 01 السنة 2025 ص 257 - 277

تاريخ الإرسال: 2023/06/20 تاريخ القبول: 2024/10/17
تاريخ النشر: 2025/04/30

دور مدينة القالة (مرسى الخرز) في استغلال وتجارة المرجان خلال القرن (4-13هـ/10-19م)

The role of the city of El-kala (Marsa El-Kharaz) inthe exploitation and trade of coral during the .century (4-13 A.H./10-19 A.D)

د.خليل وهيبة[1]
جامعة يحيى فارس بالمدية (الجزائر) khelil.ouahiba@univ-medea.dz

الملخص:

شكل مرجان مدينة القالة فرعا أساسيا من فروع التجارة الدولية في الجزائر خلال القرن (4-13هـ/10-19م)، وهذا لتوفرها على شعاب مرجانية هائلة، والذي يعتبر من أجود المرجان في العالم، و كان للمدينة دور كبير في ترويج وتجارة وصناعة هذه المادة التي أسالت لعابهم، مما جعله يحظى باهتمام جل التجار الأوربيين، فمدينة القالة وحصنها الفرنسي ووكالات تجارة المرجان أوجدت حركة اقتصادية نشيطة خاصة خلال القرن 15م و16م، فأصبحت أسواق مدن بايلك الشرق من أغنى الأسواق في شمال إفريقيا، وصدر مرجان القالة إلى مختلف أنحاء العالم كمرسيليا، والهند والصين وايطاليا وغيرها، وتهدف فكرة البحث الى توضيح أهمية مدينة القالة خلال الفترة الاسلامية حتى بداية الفترة الاستعمارية في استغلال وتجارة هذه المادة، التي أصبحت قبلة للتجار، فلما لا يتم فتح مجال لاستغلال المرجان في هذه المدينة مرة أخرى للنهوض بالاقتصاد الوطني.

الكلمات المفتاحية: القالة، تجارة المرجان، الفترة الإسلامية

Abstract:

The coral of El Kala, formed an essential branch of international trade in Algeria during 10/19 AD, which brought it the attention of most European merchants, and the city played a big role in the promotion, trade and manufacture of this material, and it is one of the finest corals in the world. The town of El Kala and its French stronghold and coral trading agencies created an active economic movement, especially during the 15th and 16th centuries. Markets in the eastern towns of Bailk have become one of the richest markets in North Africa. Through this conference, we will try to shed light on the importance of the city of El Kala during the Islamic period until the beginning of the colonial period in the field of exploitation and trade in coral, and why not open the way to the exploitation of coral again to advance the national economy.
Keywords: El Kala, Coral Trade, Islamic Period

المؤلف المرسل: الاسم الكامل، الإيميل: khelil.ouahiba@univ-medea.dz

مقدمة:

لعبت مدينة القالة دور كبيرا في استغلال وتجارة وصناعة المرجان، سواء في الفترة الوسيطة عندما كانت تسمى بمرسى الخرز بدليل أن تسميتها نسبت إلى خرز المرجان وشباك صيده، أو خلال الفترة العثمانية والاستعمارية، فاعتبر صيد المرجان نشاطا أساسيا في تجارة واقتصاد المدينة، يتم تصنيعه بأشكال مختلفة، استعمل في صناعة الحلي وتزيين بعض تحف الفنون التطبيقية ببلاد القبائل وبعض المدن الجزائرية، حيث عرفت الصناعة أوج تقدمها، وأصبح المرجان موضة العصر لوفرته في السواحل الشرقية الجزائرية بصفة عامة ومدينة القالة بصفة خاصة، وما هو محفوظ _من تحف_ في المتاحف الجزائرية والدولية دليل على تقدم هذه الصناعة خلال هذه الفترة.

كان المرجان المادة التي أثارت اهتمام أولى الشركات التي تأسست بمدينة القالة، فحظي باهتمام التجار الأوربيين من فرنسا وايطاليا وسردينيا وجينوة ومناطق أخرى، وكانت هذه المادة من أكبر وأهم صادرات إقليم الشرق الجزائري خلال الفترة العثمانية، واحتل المرتبة الأولى من حيث الأرباح وحتى أنه عوائده عادت على الخزينة الجزائرية بأرباح طائلة، كما أن الهدايا التي كانت تقدم للدايات والبايات والباشوات، والشخصيات المهمة للدولة، كانت من أرباحه، أو يقدم كمادة خام، ويكون من النوع الجيد كهدايا الصناديق.

أدى مرجان مدينة القالة دورا أساسيا في العمليات التجارية فكان بمثابة عملة تبادل بالنسبة للمتاجرين به،[1] لكسب أكبر قدر ممكن من الفائدة، فيقومون بالمقايضة حينما لا تتوفر لديهم النقود، فمقابل بعض المواد والسلع غير المتوفرة في المناطق الجزائرية القريبة من أماكن صيده كالأسلحة والتوابل والرخام وغيره من المواد، إذ يقومون باستبدالها بمادة المرجان، فقد رأوا في هذه المادة مصدر ثراء قد لا يعثرون عليه باهتمامهم بتجارة أخرى كالحبوب مثلا.[2] فما هو الدور التجاري والاقتصادي الذي لعبته مدينة القالة خلال الفترة الاسلامية حتى الاحتلال الفرنسي من خلال استغلالها لهذه المادة؟ وللوصول الى النتائج المرجوة اعتمدت في هذه الدراسة على الجانب النظري واستخدمت فيه المنهج التاريخي الوصفي التحليلي فجمعت المادة التاريخية ثم قمت بتحليل الأحداث وتركيب المعلومات من المراجع والمصادر والوثائق.

1-أهمية مرجان مدينة القالة:

تعتبر مدينة القالة أول مكان يتم فيه اكتشاف المرجان على أنه حيوان وليس نبات وهذا لتوفرها على شعاب مرجانية هائلة، بفضل الباحثان الفرنسيان "دي لاكاز دوثييه" [3] و " بايسونال Peyssonnel"[4]، وقد أمضيا هذان الاخيران عدة سنوات في مدينة القالة أين تمكنا من اكتشاف الطبيعة الحقيقية للمرجان[5] بالحصن الفرنسي

(الباستيون)[6] بين سنتي 1725م7 و1864م [8] وبذلك نفايا كل الآراء السابقة التي كانت منتشرة عبر العديد من القرون والتي كانت تعتبر المرجان نباتا بحريا أو حجارة.

أوجدت مدينة القالة وحصنها الفرنسي حركة اقتصادية نشيطة خلال القرن 15و16م، حيث انتشرت الصناعات اليدوية المختلفة في شكل مجموعات حرفية ذات طابع نقابي، يتميز كل فرع منها في شارع خاص به، مثل الأسواق الخاصة بالخرازين والنجارين والخزافين والحدادين وبائعي البرانس،[9] وأصبحت أسواق مدن بايلك الشرق من أغنى الأسواق في شمال إفريقيا، بفضل وكالات تجارة المرجان التي أسست في مدينة القالة والتي فتحت المجال للمتاجرة بمواد أخرى حيث نشطت الزراعة، كما تطورت الثروة الحيوانية، وكل المواد المنتجة كانت تباع لتجار الباستيون،[10] هذه الأنشطة التجارية والحرفية التي أفرزتها وكالة الباستيون، والوكالات التي أسست فيما بعد أدت إلى زيادة مداخيل السلطة المحلية، لدرجة أن دنوش* بايلك الشرق كان يعتبر من أغنى دنوش بايلك الجزائر في تلك الفترة، حيث كانت معظم المداخيل من تجارة المرجان والقمح.[11]

والجدير بالذكر أن الشركات الفرنسية قد ازدهرت بفضل صيد المرجان، إذ قفز رأسمال بعض الشركات من مليون ومائتي ألف فرنك إلى حوالي أربعة ملايين من الفرنكات، بالإضافة إلى الأرباح السنوية الأخرى التي كانت توزع على المساهمين، علاوة على هدايا صناديق المرجان، ونتيجة لهذا الازدهار تم إنشاء عدد من المعامل لصقل المرجان في مرسيليا، وكان الهدف منها هو تشغيل أكبر عدد ممكن من اليد العاملة، وبهذا تم إنقاذ المدينة من البطالة،[12] فنشطت مدينة مرسيليا علاقاتها التجارية مع الهند والصين بفضل ما تصقله من مرجان القالة، فبعد تصديره إلى مرسيليا يتم إعادة تصدير المرجان السميك إلى روسيا، والمرجان الوردي ذو

النوعية الأولى إلى الصين، والنوعية الثانية إلى بولونيا، بينما يصدر النوعين بربريسكو وروباشيارا إلى الهند، كما عمل اليهود على تنشيط هذه التجارة في الجزائر، حيث أجمع الخبراء في ذلك الحين على أنه من أجود الأنواع.[13]

1.1- تعريف مدينة القالة:

مدينة ساحلية سياحية تقع في الشرق الجزائري وإحدى دوائر ولاية الطارف، تبعد بحوالي 90كم عن شرق مدينة عنابة، و16كم عن الحدود التونسية، تحتوي على العديد من البحيرات، والمعالم والمواقع الأثرية، كانت المدينة معروفة منذ القدم، فسميت بتنوزا في عهد الفينيقين*،اشتهرت بصيد المرجان ووفرته، فأصبحت تسمى في الفترة الوسيطة ب"مرسى الخرز"، والخرز حسب التعريف المعجمي: هو ما نظم في السلك من ودع وحب مثقوب، وبحكم ما اشتهرت به المنطقة من استخراج المرجان وصناعته وبيعه والتزين به كحلي، فكان يخرز بعد ثقبه، فسميت بالخرز، كما أطلق اللفظ على الشباك التي كان يصاد بها المرجان والتي تخرز وتخاط لاستعمالها، ومن خلال هذه الحركة استخرجت مفردة الخرز وأسندت إلى المرسى وهي الضفة المميزة للمدينة، فسميت بمرسى الخرز، استغلها الجنويين فترة من الزمن لصيد المرجان، وبعدها الصيادين الايطاليين والفرنسيين، وأسموها " القالة Calle " *[14]، وكانت أول خليج ترسو فيه السفن الفرنسية، لأنها تزخر بمادة ثمينة يمكن أن نطلق عليها الذهب الأحمر، جعلتها الرائدة في الانتاج في تلك الفترة.

2.1- تعريف وأصل كلمة المرجان:

إن معظم كتب الأحجار الكريمة تذكر أن المرجان لفظ معرب عن اليونانية وأصله "ماجنتو Maginto "[15] وكان يطلق عليه اسم البُسَّذُ في المصادر القديمة،[16] وحتى في كتب الطب العربية، وكانت تسمية البسذ أشهر من المرجان، رغم أن المرجان ذكر في القران الكريم بهذا الاسم، فقال البيروني: " المشهور في

ألسن الجمهور أنه البُسَّذُ"[17]، كما ذكر هذا كثير من المؤرخين منهم ابن حمدوش الجزائري[18] و يحيى بن ماسويه[19] وآخرون.

أما من الناحية العلمية فالمرجان حيوان بحري، مشكل من كائنات حية (البوليب) تعيش في مجموعات تفرز مادة كلسية، والتي تبقى بعد موت الكائنات التي تعيش داخل الهيكل الكلسي[20]، يعتبر نمو المرجان بطيئا، فالجذع الرئيسي للهيكل ينمو في حدود 0.5 إلى 01سم في السنة، وطول الفروع نادرا ما يتجاوز 20سم،[21] وهناك عدة أنواع من المرجان، فقد قدر العلماء وجود حوالي 7000 نوع ينتمي إلى عائلة المرجانيات،[22] كما تعددت ألوان المرجان من أحمر وأبيض ووردي وأسود وغيرها.

كانت الفوائد الطبية والصحية للمرجان من الأسباب التي دعت العامة والخاصة لاقتنائها، فقيل أن الأحمر في العلاج أجود،[23] ويعتبر أحد مصادر الطاقة للجسم.[24] ويبسط النفس، ويفرح القلب[25] وغيرها من الفوائد الاخرى كما استعمل في علم التنجيم قديما.[26]

يستعمل لصيد المرجان أدوات ووسائل متنوعة، وعموما لم تتغير طريقة صيد المرجان منذ القرن 4هـ/ 10م إلى بداية القرن 14هـ/ 20م، وتتمثل في أداة الصليب التي تستعمل في جر الشباك على سطح القاع الصخري بهدف اقتلاع الأغصان المرجانية التي تنمو على الصخور وفي التجاويف والانحناءات الصخرية.[27]

2-استغلال وتجارة المرجان بمدينة القالة (مرسى الخرز) خلال القرن (4-13هـ/10-19م)

إن وفرة المرجان بسواحل الجزائر أدى إلى تكالب الدول الأوربية عليها، فتنتشر الشعاب المرجانية بنسب متفاوتة في القالة وعنابة والقل، وسكيكدة، وجيجل، وبجاية[28]، ومدينة الجزائر، وشرشال، وتنس، والمرسى الكبير ووهران.[29] (الخريطة

01) وكان السبب الرئيسي في استغلال هذه الثروة، الدور الكبير الذي لعبته الشركات الاجنبية في بناء مراكز لصيد وتجارة المرجان، بالسواحل الشرقية الجزائرية خاصة في مدينة القالة، ابتداء من القرن 4هـ/10م بإبرام عدة اتفاقيات ومعاهدات[30]، سنحاول تتبع جميع مراحل استغلال المرجان بمدينة القالة ودور المؤسسات التجارية فيها.

1.2- استغلال وتجارة مرجان مرسى الخرز خلال القرن (4-10هـ/10-16م)

من خلال البحث في المصادر الإسلامية وجدنا أنه قد بدأ استغلال وصيد المرجان بالسواحل الجزائرية خاصة منها الشرقية، وبالضبط في مدينة القالة التي كانت تسمى بمرسى الخرز ابتداء من القرن (4هـ/10م)، وأول اشارة في هذا الصدد تكلم عنها ابن حوقل فقال: ...مرسى الخرز فيها معدن المرجان، ... غير أنها نبيلة لمكان وحضور من يحضرها من التجار، ولا أعرف في شيء من البحار له نظيرا في الجودة،... ولسلطان المغرب بها أمناء على ما يخرج منه، وناظر يلي صلاتها ومعادنها وما يلزم ما يخرج من هذا المعدن، وللتجار بها أموال كثيرة من أقطار النواحي عند سماسرة وقوف لبيع المرجان وشرائه، ويعمل بها في أكثر الأوقات في إثارة المرجان الخمسون قاربا، ومما زاد على ذلك في القارب العشرون رجلا إلى ما زاد ونقص..."[31] فمن خلال ما ذكره ابن حوقل، يتبين فعلا أن بداية استغلال وصيد المرجان بالسواحل الجزائرية كان في مرسى الخرز في القرن الرابع الهجري.

بالإضافة الى ذلك ذكر البكري أن صيد المرجان كان في مدينة مرسى الخرز في زمنه فقال" وبشرقي مدينة بونة مدينة مرسى الخرز فيه المرجان وهي مدينة قد أحاط بها البحر إلا مسلك لطيف ربما قطعه البحر في الشتاء عليها سور وبها سوق عامرة، وقد صنع بها مرفأ للسفن منذ مدة قريبة، وفي هذه المدينة تنشأ السفن

والمراكب الحربية التي تغزى بها إلى بلاد الروم..."[32]، ونحن نعلم أن البكري ولد سنة 404هـ / 1094م.

وقد ذكر المؤرخ التيفاشي أن مرجان مرسى الخرز صدر الى بلدان كثيرة فقال"... يوجد في موضع يسمى مرسى الخرز ...ومنه يجلب إلى الشرق وإلى اليمن والهند وسائر البلاد ولا يوجد بغير هذا الموضع ما يوجد منه في الكثرة والكبر والجودة..."[33]، أما صاحب كتاب الاستبصار فقد تحدث عن حرفة المرجان بقوله" ...وبالقرب منها (المهدية) مرسى الخرز، وهي مدينة قديمة ....وفيها يخرج المرجان، ومنها يحمل إلى بلاد الدنيا، وهناك قوم لهم مراكب وزوارق ليس لهم حرفة سوى اخراج المرجان من قعر البحر[34]، كما ذكر الادريسي أنه يحمل إلى مدينة غانة وجميع بلاد السودان[35]، وهذا المرجان المستخرج من هذه الجهة كان مميزا بكثرته ونوعيته الجيدة وجودته العالية مقارنة بباقي المرجان المستخرج من المناطق الأخرى فقال الحميري "...وهو أنفس مرجان في الدنيا، وأنفق شيء بالهند والصين"[36].

صدر مرجان إفريقية وبالأخص مرجان مرسى الخرز بحسب المصادر ابتداء من القرن 5-6هـ، إلى القاهرة والإسكندرية ومنها إلى الشرق[37]، وقد أبدى تجار ايطاليا اهتماما كبيرا بهذه المادة واحتكارها على عهد الدولة الموحدية، حيث كانوا يقومون بتصديرها إلى أوربا والمشرق[38]، كما انظمت فيما بعد كل من البندقية و مرسيليا في هذه التجارة.[39]

لا يفوتنا أن نشير إلى أن مرسى الخرز كان تحت سيطرة الجنويين سنة 1282م، بقيادة "روجي دي لوريا Roger de Loria "[40]، وهذا على حسب ما ذكره المؤرخ "بول ماسون Masson Paul" حيث كان الجنويين بارعين في صيد المرجان[41]، ومن الممكن أن أول من تنبه لوفرته بهذه المنطقة هم الجنويين نفسهم لذلك كانوا سباقين لاستغلاله[42]، ومنح لهم امتياز صيد المرجان على السواحل الشرقية الجزائرية

منذ القرن 12م، وقد جددت الامتيازات من طرف أمير بجاية والسلطان الحفصي أبي عبد الله[43]، فقبل أن يضع الفرنسيون أقدامهم على سواحل الجزائر الشرقية لصيد المرجان كان صيد المرجان بمرسى الخرز بيد الجنويين بقيادة" أندري دوريا[44] André Doria"[45] حيث توالت الشركات الجينوية في صيده، وذلك في السواحل الواقعة غرب رأس الجبل[46] إلى مرسى الخرز التي كانت تحت السيطرة الحفصية مقابل ضريبة سنوية تقدر بـ 2000(دوبل[47] double).[48]

2.2- استغلال وتجارة مرجان القالة خلال الفترة العثمانية القرن (10-13هـ/16-19م) ودور المؤسسات الفرنسية

أسلفنا سابقا أنه بعد الجنويين جاء دور الفرنسيين في استغلال المرجان في المنطقة على هذه المرحلة- الفترة الإسلامية-، فالعلاقات والاتصالات بين الجزائر وفرنسا قديمة جدا، ولهذا فقد قامت علاقة تجارية واقتصادية وسياسية بين هذين الدولتين، وتقلبت بين مظاهر التقارب والتعاون حينا، والتنافر والتنافس أحيانا كثيرة،[49] وبعد أن هزم شارل الخامس الإسباني فرنسوا الاول الفرنسي، استنجد هذا الاخير بالدولة العثمانية وتحالف معها للصمود أمام الغريم الإسباني، فعلى إثرها استفاد فرانسوا الاول من امتيازات عديدة، تضمنتها معاهدة الامتيازات التي أبرمها مع السلطان العثماني سليمان القانوني، في شهر فيفري من سنة 1536م،[50] والتي مهدت وكانت من أهم الأسباب التي أدت إلى استغلال تجارة المرجان في الجزائر من طرف الفرنسيين، وإقامة الحصون والشركات في السواحل الجزائرية الشرقية وفي منطقة القالة تحديدا، هذه المعاهدة جعلت الفرنسيين يدعون بأن لهم وجودا موغلا في القدم فوق هذه الأراضي،[51] فاعتبرت فرنسا موانئ شرق الإيالة من ممتلكاتها الخاصة فلا يحق لغير الفرنسيين أن يتاجروا فيها بل إن الدخول إلى مدينة القالة كان تحت تصرفها[52]، فقاموا ببناء الحصن الفرنسي[53]، مقابل إتاوات تدفع للباب العالي سنويا.

1.2.2- مؤسسة الحصن الفرنسي (الباستيون) بالقالة:

يقع على بعد حوالي 12 كلم غرب مدينة القالة،[54] في خليج صغير بمحاذاة الشاطئ، حيث ترسو عادة القوارب المخصصة لصيد المرجان، ويبعد عن تونس حوالي 100 ميل[55]، ويذكر الرحالة "بواري Poiret " سنة 1785م أن نشأة الحصن الفرنسي كان بهدف استغلال المرجان، وكان القاعدة الأساسية لتجارة الشركات الفرنسية فيما بعد،[56] وقد لعب دورا هاما في الميدان الاقتصادي من جهة، ومن جهة أخرى محطة بحرية بين القالة وعنابة تستفيد منها السفن الفرنسية المتنقلة من الرأس الاسود بتونس إلى عنابة والقل وجيجل، ويعد مركزا هاما يربط بين فرنسا والجزائر في هذه الفترة التاريخية التي اشتهرت بصيد وبيع المرجان إلى مختلف أنحاء العالم[57].

تأسس الحصن الفرنسي (الباستيون) حسب رأي بعض المؤرخين والباحثين الفرنسيين سنة 968هـ/1561م، من طرف التاجرين "توماس لانش" و"كارلين ديديه 58، إن تسمية الحصن الفرنسي لم تصبح متداولة إلا في القرن 17م حيث كان يعرف بحصن "ماسكراز" (Bastion de Massacarès).[59] تحريفا لكلمة مرسى الخرز، أسس على يد الآلاف من الكورسكيين الذين غادروا كورسيكا للبحث عن الثروة، وكانوا بارعين في الصيد على حد قول المؤرخ فيليبيني (Filippini)، وقد عملوا على مدار قرنين من الزمن لصالح فرنسا[60]، وورد في إحدى المذكرات التي تعود إلى سنة 1603م، والتي تؤكد أن "لانش" حصل على رخصة بناء الحصن الفرنسي شريطة خلوه من كل العناصر الدفاعية،[61] يحتوي على برج وعدة مرافق وملحقات، ومن أهم هذه الملحقات مركز القالة، وقد استعمل كمحطة وملجأ لسفن الباستيون، وكان يضم مخزنين كبيرين للمرجان[62]، ولم يقتصر نشاطه على المرجان فحسب بل تعداه فيما بعد إلى منتجات أخرى كالحبوب والجلود، وغيرها من المواد لسد حاجات الصيادين

ولتصديرها[63]، مع ضرورة دفع الفرنسيين المستغلين لهذا المرسى مقدار العشر من مداخليه إلى خزينة الجزائر.[64] وقد بقيت بعض آثار الحصن الفرنسي على الساحل الشرقي للجزائر بمدينة القالة.

زادت مداخيل الحصن، وعرف ازدهارا كبيرا بسبب التوفر الكبير لثروة المرجان في السواحل القريبة منه، وكذا نوعية المرجان الرفيعة[65]ونظر لهذه الأرباح كثفت الشركة نشاطها حتى غدت اليد العاملة المختصة لصيد المرجان التي اشتملت على مائتين وخمسين صيادا غير كافية لسد حاجاتها، فاستعانت بصيادي السمك، ومن هنا نستنتج أن حجم الصادرات كان ضخما، ولم تمض سنوات قليلة من تأسيس الحصن، حتى غدا من أكبر الأسواق وملتقى للتجار من مختلف الجنسيات ومن كل فج، فقصده التجار من أمريكا اللاتينية نفسها، فضلا عن الانجليز والهولانديين[66].

هدم الحصن وأعيد بناؤه وتجديده عدة مرات، ومن بين الأسباب التي أدت إلى تهديمه حسب المصادر، هو انتهاك هذه الوكالة لبنود الاتفاقيات، وبسب العلاقات الفرنسة الجزائرية التى أخذت منحنى آخر في القرن السابع عشر إلى غاية القرن التاسع عشر،[67] كما يذكر بول ماسون أن من بين الأسباب أيضا أنه قدمت العديد من الشكاوي بعدم الالتزام بالتعهدات للجزائر بدفع اللزمة المفروضة في مقابل استغلال الحصن.[68]

بعدها أخلي الحصن الفرنسي بسبب الأوبئة التي تجتاحه من حين لآخر، فاشترت الشركة الملكية الإفريقية الحصن الفرنسي وهذه الأخيرة هي التي كانت تشرف على تسيير الباستيون [69] (شكل01)، وتذكر الشركة نفسها بأن مرجان القالة " أجمل لونا من غيره"، وإن لم يكن أكبر حجما، وهو مفضل على سائر أنواع المرجان في العالم، وكان الشعبة الأساسية في تجارة الشركة في بداية الأمر، حيث غطى جميع مصاريفها، بما في ذلك مصاريف الاعتناء والأجور والضرائب والهديا

وأرباح المساهمين،[70] التي تقدر 400.000 فرنك سنويا،[71] ونستطيع القول بأن الشركة الملكية الإفريقية كانت ترمي إلى جلب الرخاء للمواطنين الفرنسيين- وهو هدف وطني- ولتحقيق الفوائد الجمة لأعضائها- وهو هدف تجاري، وقد استمرت الشركة في نشاطها بصفة عادية إلي غاية 1791م، عندما رخصت السلطات العليا لصيد المرجان في شهر جويلية سنة 1791م لمن أراد ذلك من الفرنسيين بدون مراقبة، فضعفت الشركة الملكية الإفريقية وأدى هذا القرار إلى زوالها .[72] بعدها تعاقبت على الحصن والقالة عدة شركات منها الوكالة الإفريقية والوكالة الإنجليزية وشركة السيد باريParet..الخ، التي أشرفت على تسييرها فرنسا، وبقي الأمر كذلك إلى غاية سنة 1214هـ/ 1799م، عندما قامت السلطات الجزائرية بتهديم المؤسسات بأمر من الباي العالي.[73]

كان صيد المرجان بالقالة السبب الأساسي في منح امتيازات للشركات التي خلفت الحصن الفرنسي في ما بعد،[74] ففتحت التجارة لمواد أخرى فازدهرت المدينة ولعبت دورا هاما من الناحية الاقتصادية. وكانت القالة وحدها تصدر إلى فرنسا أكبر كمية من المرجان، وبذلك قدر على الشركة أرباحا سنوية تزيد قيمتها 250.000 فرنك في ذلك الوقت[75]، وكان صيد المرجان الوظيفة الرئيسية للحصن الفرنسي، فكانت شركته تستحق تسمية شركة صيد المرجان، أما ابتداء من القرن السابع عشر اتخذت الشركة اسما أشمل وهو "شركة الحصن"[76]، نظرا لدخول مواد أخرى في التجارة.

2.2- صيد وتجارة المرجان في الفترة الاستعمارية

بعد خلاف الجزائر وفرنسا بسبب قضية الديون، هوجمت كل الهياكل البحرية الموجودة على السواحل الجزائرية، فبالنسبة للقالة التي كانت مركزا لصيد المرجان أصبحت خالية سنة1247هـ/1831م، بعدها تواصلت صناعة وصيد المرجان خلال

الفترة الاستعمارية، فاستمر الفرنسيون والايطاليون خاصة في استغلال المرجان في السواحل الجزائرية، لقيمته المادية، وتم وضع شروط عديدة لممارسة صيد المرجان للحفاظ عليه على طول السواحل الجزائرية، واستخدام الشباك في عملية الصيد، بدل الادوات الحديدية، وتسليط عقوبة لكل من خالف القوانين.[77]

أعاد الايطاليون إحياء صيد المرجان، بداية بالقل، وبأمر ملكي مؤرخ في 21 ديسمبر1842م، تحصل الايطاليون على حق استغلال ميناء القل في التجارة مع جميع الموانئ المحتلة من طرف الفرنسيين، كما اعادوا الحياة من جديد للقالة، وعنابة حتى رأس كاب روزا، لأنها منطقة صيد لأفضل أنواع المرجان، الذي يتكاثر في عمق بين 40 و50 براس *Brasse، أين كان المرجان متوفرا بكثرة وذو نوعية جيدة.[78]

في سنة 1263هـ/ 1846م، كان في القالة 116 مركب صيد و1171 بحار، وكان المرجان المستخرج يصدر إلى ليفورنة، وكان اليهود مسيطرين على هذه التجارة.[79] بعدها نقصت كمية صيد المرجان وعرفت أزمة خاصة بعد اكتشاف مناطق جديدة في صقلية، فتناقص عدد السفن إلى خمسة عشرة باخرة فقط، وهذا ما جعل الإدارة المشرفة على هذا المجال تتراجع عن بعض شروط الصيد المتفق عليها، ومع هذا استمر الكساد لمدة خمسة عشر سنة أي الى غاية سنة 1310هـ/ 1892م، ولكن الحكومة الفرنسية تداركت الأمر، وأمام هذا الوضع أصدرت الحكومة العامة مرسوما في 15 مارس 1897م يهدف إلى حماية هذه الثروة واستغلال وتقسيمها لسواحل الجزائر كما يحلو لها.[80]

خاتمة:

يتضح من خلال هذا البحث أن مرجان مدينة القالة صنع ثورة وثروة بين أوساط الأوربيين خلال الفترة الإسلامية والاستعمارية، لجودته ووفرته، فاشتهرت المدينة

وأصبحت قبلة لكل التجار، وساهمت في إيجاد نشاط اقتصادي كبير بفضل حصنها الفرنسي الذي فتح المجال فتح المجال للمتاجرة بأنشطة أخرى.

_ كانت صناعة المرجان في الجزائر جديدة، جاءت نتيجة التواجد الأوربي في الجزائر بصفة عامة ومدينة القالة بصفة خاصة، وقد دخلت خلال الحروب الصليبية[81]، وساهمت إلى حد ما في إيجاد فرص عمل للجزائريين الذين أدركوا مدى أهميتها، ولو أن الاستفادة لم تكن محلية إلا بنسبة ضئيلة، فدخلت في صناعة الحلي وتزيين العديد من تحف الفنون التطبيقية.

_قد لا نجانب الحقيقة إذا أرجعنا جذور عدم ممارسة وتطور صناعة المرجان في الجزائر، إلى وجود شركات احتكارية أجنبية خدمت مصالحها ومصالح بلادها، رغم تواضع نشاط صناعة المرجان في الفترة العثمانية بالنسبة للجزائريين، واستمراره في الفترة الاستعمارية، والتي لم تتعدى صناعته إطارها التقليدي، استطاع تغطية حاجات الأهالي المتواضعة خلال هذه الفترة.

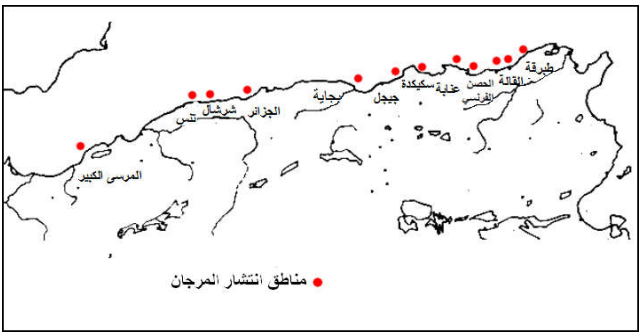
_ساهم التواجد الأوربي بمدينة القالة في اكتشاف المرجان بتقنيات صناعية جديدة، وحتى طرق صيده، ابتداء من القرن 4هـ/10م.

التوصيات:

لم تقم السلطات المركزية بتنظيم هذا القطاع وتدعيمه، لتنمية الاقتصاد الوطني وتركته للدول الأجنبية، سواء في الفترة الإسلامية أو حاليا، كما أنها لم تعمل على تعبئة الطاقة البشرية لاستغلال هذه الثروة في الصناعة المحلية، وبديهي أن انخفاض مستوى الحياة يجعل صاحبه في غنى عن استعمال المنتوجات والمصوغات الفنية، ولو أن السلطات الحاكمة في البلاد بذلت كل المجهودات للقيام بواجبها كما ينبغي، واستعملت كل ثقلها لدى مختلف الدول لفتح الاسواق العالمية أمام التجار والحرفيين الجزائريين لأصبحت تجارة المرجان من أهم مصادر الثروة في البلاد، لذا

نقترح: فتح مجال لاستغلال المرجان في هذه المدينة مرة أخرى للنهوض بالاقتصاد الوطني، وهذا نتيجة لازدهار مدينة القالة خلال الفترة الإسلامية بفضل الذهب الأحمر، فلما لا يتم إنشاء عدد من المعامل والورشات لصقل المرجان في القالة ومدن أخرى من الجزائر، وتشغيل أكبر عدد ممكن من اليد العاملة، وبهذا يتم إنقاذ نسبة من البطالة.

فهرس الصور والأشكال:



الخريطة 01 : أماكن انتشار وصيد المرجان بالسواحل الجزائرية عن: الباحثة



الشكل 01 : رسم تخطيطي للحصن الفرنسي عن: المكتبة الوطنية الفرنسية

الهوامش والإحالات

[1]– عائشة غطاس، العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر (1619 – 1694 م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيستر في التاريخ الحديث، السنة الجامعية 1884–1885م، ص 105.

[2]– Savary J., Le Parfait négociant, 2e Tome, Chez les frères Estienne, Paris, 1757, p.476, p.-p.747-748

[3]– هنري دي لاكاز دوثيي عالم أحياء وعالم حيوان فرنسي(1821–1901م)

[4] – جان أندريه بايسونال طبيب و عالم طبيعة فرنسي (1694–1759 م)

[5]– Paolini C., La fascination du corail, Edit. Gerfaut, Lille 2004, p.56

[6]–الحصن الفرنسي: مركز تجاري يعرف باسم الحصن الفرنسي (Bastion de France)، أو الباستيون، وفي الوثائق التي تعود الى الفترة العثمانية نجده بتسمية الباستيون.

[7]– Traduction d'un article des transactions philosophies sur le corail, projet proposé à l'académie de Marseille, Londes 1756., p.-p.32-33

[8] Escard J., Les pierres précieuses, Dunod, Paris, p.17 Voir aussi Traduction d'un article des transactions philosophies sur le corail, projet proposé à l'académie de Marseille, Londes 1756, p18.

[9]– ناصر الدين سعيدوني، الحياة الاقتصادية بعنابه خلال العهد العثماني، مجلة الأصالة، ع33–34،1976 الجزائر،1976م، ص79.

[10]– Peyssonnel J .A.,Voyage dans les Régences de Tunis et d'Alger, 2e Tome, Libr. de Gide, Paris, 1838, T2,. p.221

[*]– دنوش: هي ضرائب تجمع في سائر اقطار الجزائر خلال الفترة العثمانية، أنظر: أحمد توفيق المدني، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار ، نقيب أشراف الجزائر(1168–1246هـ/1754–1830م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974م. ، ص36–46.

[11]– سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي (1830 – 1500)، ج01، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1998، ص176.

[12] – Tableau de la situation des établissements Français dans l'Algérie: précédé de l'exposé des motifs et du projet de loi portant demande de crédits extraordinaires au titre de l'exercice 1838… en 1838 Volume 2, Impr Royale, 1839, Bibliothèque de l'état de Bavière, 1839, p.98

[13]- Crespo G., Les Italiens en Algérie 1830-1960: Histoire et sociologie d'une migration, Edit. Jacques Gandini, 1994, p.;p.60;63

*يرى الباحثون أن تسمية تونوزا، مفردة من اللهجة البربرية، وتعني ممر أو منطقة العبور الآمنة.

*القالة: كلمة باللغة اللاتينية أي الميناء حيث تعتبر المكان الأنسب لرسو السفن والقوارب في المنطقة بمعنى النزول إلى الخليج، أو إنزال الشراع، أو موقف وملجأ للسفن.

[14] −Le Roy M., Etat général et particulier du royaume et de la ville d'Alger, de son gouvernement, de ses forces de terre et de mer, A. Van Dole, La Haye 1750, p.72

أنظر أيضا: مختار حساني، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، دار الحكمة، ج03، الجزائر العاصمة، 2007م، ص124.

[15]جاسر خليل ابو صفية، معرب القران، عربي أصيل، دار أجا، ط 01، الرياض، (1420 هـ − 2000م ، ص84

[16]هناك اختلاف في كتابة البسذ في الكتب، فنجدها أحينا بالبسذ، وأحيانا أخرى بالبسد، والاختلاف يكمن في النقطة أي بدال مهملة، وفي الجماهر ص 192 ضبط بضم أوليه، أنظر أيضا أبي بكر محمد بن زكريا الرازي (ت 314هـ929 /م)، الحاوي في الطب، مراجعة وتصحيح محمد اسماعيل، ج02، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2000م ،ص37

[17]– أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني (ت 443هـ)، الجماهر في معرفة الجواهر، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع, 1998 ، ص93.

[1818]عبد الرزاق محمد بن حمدوش الجزائري، كشف الرموز في شرح العقاقير والأعشاب، دار الكتب العلمية، 2004،ص80

19يحيى بن ماسويه، الجواهر وصفاتها، وفي أي بلد هي، وصفة الغواصين والتجار تحقيق رؤوف عماد عبد السلام، المجمع الثقافي، 2001، ص58

20Escard J., Op.cit , p 18

[21]− Merlin J.C., Delé M.L., « Étude par spectroscopie Raman de résonance de la pigmentation des squelettes calcaires de certains coraux ». In Bull. Soc. Zool. N°108, Paris 1983, p.-p.289-301

22 Vimal J., Physiopathologie des coraux, Thèse de doctorat, Ecole nationale vétérinaire, Lyon 2006/2007, p.12

[23]– أبو القاسم بن محمد بن ابراهيم الغساني الشهير بالوزير، حديقة الازهار في ماهية العشب والعقار، تحقيق محمد العربي الخطابي، دار الغرب الاسلامي، ط02، 1990م، ص66.

[24]– محمد ابراهيم ابداح، موسوعة الاحجار الكريمة، انواع الاحجار الكريمة خصائصها وفوائدها، دار الجنان للنشر والتوزيع، 2016، ص38.

[25]– عبد الرزاق محمد بن حمدوش الجزائري، المصدر السابق، ص 84.

[26]– مروان أبو نعيم، الاحجار الكريمة، دار الاسرة وأعلام الثقافة، الاسكندرية، 2010، ص31–32

[27] Mario Galasso M., « Pesca del Corallium rubrum in Sardegna nell'antichità: materiali e strumenti», In Atti del XIV Convegno Internazionale di studi L'Africa Romana, Lo spazio marittimo del Mediterraneo Occidentale: Geografia storica ed Economia, Sassari 7-10 dicembre 2000, vol. secondo, Roma 2002, pp.1159-1200

28- Crespo G., Op.cit , p.63

29- Bainie F., Géographie Appliquée à la Marine, Commerce, Agriculture, Industrie et à la Statistique, Paris 1877, p.;p.351;357;381

30- Fillias A.E., Notice sur les produits maritimes du littoral algérien, (1821-1881), Impr. Cursach, Paris 1878, p.20

[31]– أبي القاسم بن حوقل النصيبي(331هـ/943م) ، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة ،بيروت، لبنان، د.ت، ص 76–77.

[32]– أبي عبيد الله البكري (ت 487هـ)، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، تخرير وتقديم حماه الله ولد سالم، دار الكتاب، بيروت، لبنان، 1971م، ص03.

[33]– أحمد بن يوسف التفاشي (ت651هـ)، أزهار الافكار في خواص جواهر الأحجار، رقم المخطوط 1502، المكتبة الوطنية بالحامة

[34]– مجهول لكاتب مراكشي (ق 6هـ–12م)، ***الاستبصار*** في ***عجائب الأمصار*** وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد ، دار الشؤون الثقافية العامة، افاق عربية، العراق، ص126.

[35]– محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسيني الشريف الإدريسي (ت 560 هـ)، نزهة المشتاق.....، المرجع السابق، ص529.

[36]– الحِميري أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت900 هـ)، الروض المعطارفي خبر الأقطار تحقيق إحسان عاس مؤسسة ناصر للثقافة، ط02، 1980م،ص367-368.

[37]– Gouedin Ph., « Émigrer au XVe siècle, la communauté ligure des pécheurs de corail de Marsacares », In Etude de la population et des modalités de dépar, p.545

[38]– رشيد باقة، نشاط جينوة الصليبي في سواحل بلاد المغرب القرن 6-9هـ/ 12-15م، اطروحة دكتوراه، جامعة الامير عبد القادر، قسنطينة،2006-2007م، ص329.

[39]– Mas Latrie L., Relations et commerce de l'Afrique septentrionale ou Magreb, avec les nations chrétiennes au moyen âge, Édit. Firmin-Didot, Paris 1886, p.-p.372-379.

أنظر أيضا: علاوة عمارة، المرجع السابق، ص 144، 145

[40]– روجر دي لوريا: ولد في عام 1245 في لوريا في منطقة بوتنزا (باسيليكاتا)، ابن ريتشارد دي لوريا، وهومن طبقة النبلاء النورمانية في جنوب إيطاليا، أنظر: Dictionnaires et Encyclopédies sur Academic

41 - Masson P., Les compagnies du corail, fontemoing édit., Paris 1918, p.80

[42]– ليلى الصباغ: المرجع السابق، ص133.

[43]–Masson P., Op.cit, p.42

[44]– أندري دوريا: ولد سنة 1466م، بإقطاعية والده شيفا، بدأ مشواراً حقيقياً كمرتزق، تولى سنة 1503 م قيادة القوات الجنوية ، ليكرس بصفة دائمة في جنوة بصورة الكوندوتييرو المحنك، توفي سنة 1560م.انظر

Petit E., André Doria: un amiral condottiere au XVIe siècle (1466-1560), thèse présentée à la Faculté des lettres d'Aix, 1887, p.-p.11-14

45- Mas Latrie L.,Traités de paix et de commerce et documents divers concernant les relations des chrétiens avec les arabes de l'Afrique septentrionale au moyen âge, Henri Plon, Paris, 1866, p.99

[46]–رأس الجبل: تابعة لولاية بنزرت بمدينة تونس، للبحر الأبيض المتوسط . أنظر ادريس اسماعيل العربي، القارة الافريقية وجزيرة الأندلس ديوان المطبوعات الجامعية، 1983، ص167

[47]– دوبل: ذهب وهو الدينار الذهبي بالتسمية الأوربية " دبلون – doublon" و " دوبلا– dupla "و " دوبل– .double " أي الدينار المضاعف ونجد هذه التسمية في عدد من المعاهدات والرسائل بين الحفصيين و الأوربيين، انظر: صالح بعيزيق، بجاية في العهد الحفصي دراسة اقتصادية و اجتماعية، منشوارت جامعة تونس، تونس، 2006 ، ص 249

[48]– Gourdin Ph., Op.cit , p.544

[49]– لكحل الشيخ، نشاط وكالة الباستيون وأثره على العلاقات الجزائرية خلال النصف الاول من القرن 11هـ/17م، (1013–1070هـ/1604–1659م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيستر في التاريخ الحديث، 2012–2013، جامعة غرداية، ص12.

[50]– De Hammer J., Histoire de l'Empire Ottoman depuis son origine jusqu'à nos jours, Trad: J.J.Hellert J.J., 18 Tomes, Bellizard et Cie Libraires, Paris 1836, p.-p.226-229

51- Ibid., p.66

52- Fillias A.E., Op.cit., p.20

53- Ibid.

54- Laugier de Tassy J.Ph., Histoire du royaume d'Alger: avec l'etat présent de son gouvernement, de ses forces de terre et de mer, de ses revenus, police, justice, politique et commerce, Chez Henri du Sauzet, Hollande1725, p132, 133. انظر ايضا Féraud Ch., Op.cit., p.93

55- Dan P., Histoire de Barbarie et de ses corsaires, Impr. Pierre Rocol, Paris, 1637, p.-p.54-58

56- Poiret L., Voyage en Barbarie ou lettre écrites de l'ancienne Numidie Pendant les années 1785 – 1786 Sur la religion, les Coutumes - les Mœurs des Maures - des Arabes – Bédouins avec un Essai fur histoire Naturelle de ce pays, T01, Paris, p. p.17-18

57- Berthelot S., De la pêche sur les côtes de l'Algérie, impr. Rignoux, Paris 1846, p.14

58- Dan P, Op.cit, p.57

59- Ibid., p.83

60- Filippi L., «L'œuvre de la Société "Le Bastion de France" », Paris, 1935., p.24

61- Masson P., Op.cit., p.82

62- Bainie F., Op.cit , p.265

[63]– لكحل الشيخ، المرجع السابق، ص 21.

[64] – نفسه، ص 22–21.

[65]–Masson P., Op.cit., p.18

66- Derdour H., Annaba, 25 siècles de vie quotidienne et de luttes: menus appendices sur l'histoire générale du Grand Maghreb, Volume 2, SNED, Alger 1983, p.46

67 - لكحل الشيخ، المرجع السابق، ص 21–22.

68- Masson P., Op.cit, p.103

69- De La Primaudaie E., Le Commerce et la Navigation de l'Algérie avant la conquête française, Imprimerie Lahure, Paris, 1861, p.153

[70]– محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين 1792–1830م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972م ، ص86.

[71] –Tableau de la situation des etablissements Francais dans l'Algerie, precede de l'expose des metifs et du projet de loi portant demande de credits extraordinaires au titre de l'exercice 1838, Ministère de la guerre, Imprimerie Royale, 1853, p.380

[72]– محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص197.

[73]–أمر الباي العالي تهديم جميع الحصون في الشرق الجزائري، وكان السبب في ذلك إعلانه الحرب على نابليون بسبب حملته على مصر.

74 .- لكحل الشيخ، المرجع السابق، ص42.

[75]– محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص200.

[76]– Ibid., p.;p.106.

77 Le Département d'Oran et son Conseil général de la Province d'Oran 1830-1930, Impr. Heintz frères, Oran, 1881., pp.488,498,500.

*براس: وحدة قياس قديمة تقدر ب62, 1م.

[78] Le Département d'Oran et son Conseil général de la Province d'Oran Op.cit, p497.

79 -Crespo G., Op.cit, p.;p.60;63

[80]– Le Département d'Oran et son Conseil général de la Province d'Oran Op.cit, p497-499.

81 -Savary Brèves F, Op.cit, p. 431